

دراسة أثر جائحة كورونا والكفاءة التشغيلية في ربحية المصارف الاسلامية المدرجة في سوق دمشق للأوراق المالية

أ.م. د. سليمان موصلي* د. علاء صالحاني**

(الإيداع: 21 شباط 2024، القبول: 8 آيار 2024)

الملخص:

تبحث هذه الدراسة في أثر جائحة كورونا والكفاءة التشغيلية في ربحية المصارف الاسلامية المدرجة في سوق دمشق للأوراق المالية معبراً عنها بمؤشري الربحية معدل العائد على الأصول ومعدل العائد على حقوق الملكية مع وجود متغيرين ضابطين هما حجم البنك و نسبة صافي الرسوم والعمولات. ولتنفيذ ذلك، تم جمع بيانات مالية عن المصارف الاسلامية الثلاثة من موقع هيئة الأوراق والأسواق المالية تتعلق بمتغيرات الدراسة للفترة من عام 2016 وحتى عام 2022. تم استخدام أسلوب الانحدار الخطي المتعدد اللوحي لتحليل البيانات واختبار الفرضيات. أظهرت نتائج الدراسة عدم تأثر مؤشرات ربحية البنوك الاسلامية بجائحة كورونا. كما تبين وجود تأثير هام إحصائياً للكفاءة التشغيلية ونسبة صافي الرسوم والعمولات وحجم البنك في معدل العائد على الأصول بينما تبين أن الكفاءة التشغيلية هي العامل الوحيد المؤثر في معدل العائد على حقوق الملكية.

الكلمات المفتاحية: المصارف الاسلامية، الربحية، معدل العائد على الأصول، معدل العائد على حقوق الملكية، الكفاءة التشغيلية، جائحة كورونا، سوق دمشق للأوراق المالية.

*أستاذ مساعد- قسم المصارف والتأمين- كلية الاقتصاد- جامعة دمشق

**محاضر- قسم التمويل والاستثمار والمصارف - كلية ادارة الأعمال- الجامعة العربية الدولية

The Impact of Operational Efficiency and Corona Pandemic on the Profitability of Islamic Banks Listed at Damascus Securities Exchange

Asst. Prof. Sulaiman Mouselli*

Dr. Alaa Salhani**

(Received: 21 February 2024 , Accepted: 28 May 2024)

Abstract:

This study examines the impact of operational efficiency and Corona pandemic on the profitability of Islamic banks listed at Damascus Securities Exchange using two proxies for profitability, Returns on Assets (ROA) and Returns on Equity (ROE), with two control variables: bank size and fees and commission ratio. To conduct this study, we collect financial data on three Islamic banks from the Syrian Commission of Financial Markets and Securities (SCFMS) for the period 2016 to 2022. Authors applied multiple linear panel regression to analyze data and test hypotheses. Results illustrated that operational efficiency, fees and commission ratio and bank size significantly affect ROA while only operational efficiency affects ROE. However, Corona pandemic had no impact on profitability indicators.

Key words: Islamic banks, Profitability, ROA, ROE, Operational efficiency, Corona pandemic, Damascus Securities Exchange.

*Assistant Professor – Department of Banking and Insurance – Faculty of Economics – Damascus University

**Lecturer – Department of Finance, Investment and Banking – Faculty of Business Administration – Arab International University.

المقدمة:

شغلت محددات ربحية المصارف اهتمام الباحثين حول العالم نظراً للدور الذي تؤديه المصارف في الحياة الاقتصادية. في الظروف الطبيعية، يشكل هامش الفائدة المصدر الرئيس لدخل المصارف التقليدية بينما تشكل أرباح العمليات المصرفية الإسلامية المصدر الرئيس لأرباح المصارف الإسلامية. إلا أن ظروف الحرب التي عاشتها سورية منذ عام 2011 وما رافقها من عقوبات اقتصادية فرضت على سورية جعل المصارف الخاصة والعامّة على حد سواء تعاني من فوائض سيولة مرتفعة لا تجد قنوات توظيف لها مما جعلها عبئاً على المصارف. وفي المقابل أسهمت قرارات مصرف سورية المركزي في الحد من تأثير المصارف بحالات التعثر حيث لم ينتج عنها ارتفاع كبير في قيم القروض غير المنتجة. كما تسببت جائحة كورونا في تعطيل الحياة الاقتصادية حول العالم وفي سورية، لاسيما في فترات الاغلاق لمنع انتشار الفيروس، مما أثر في النشاط الاقتصادي عموماً ويتوقع أن يكون قد أثر أيضاً في ربحية المصارف السورية التقليدية والإسلامية.

بحثت المصارف السورية الخاصة عن بدائل لتعويض انخفاض أرباحها فعمدت إلى رفع رسوم خدماتها وزيادة العمولات التي تتقاضاها كما لجأت إلى تقديم خدمات جديدة منها خدمات الدفع الإلكتروني عبر تطبيقات الموبايل البنكي وخدمة نقاط البيع. كما اهتمت بتنويع استثماراتها عبر تكوين محافظ استثمارية بهدف الاستعادة من الارتفاعات التي تحققت أسعار الأسهم في سوق دمشق للأوراق المالية في الأعوام الأخيرة. كما سعت المصارف الإسلامية إلى مجارة نظيراتها من المصارف التقليدية لكن مع الالتزام بضوابط الشريعة الإسلامية لجهة توافق الأسهم مع المعايير الشرعية مع تجنب الاستثمار في سندات الخزينة.

2. مشكلة وأهداف البحث:

نتيجة للظروف الاستثنائية المحيطة بعمل المصارف الإسلامية في سورية لم تعد المحددات التقليدية لربحية المصارف الإسلامية هي العوامل الحاسمة بل ظهرت عوامل أخرى من الضروري اختبار فيما إن كانت تلعب دوراً محورياً في التأثير في ربحية المصارف الإسلامية السورية. كما أن ظروف الاغلاق التي فرضتها جائحة كورونا وما نتج عنها من تعطل الحياة الاقتصادية فرضت التساؤل عن مدى تأثير المصارف الإسلامية بالجائحة. تهدف هذه الدراسة بشكل رئيس إلى إبراز أثر جائحة كورونا والكفاءة التشغيلية في ربحيتها. وبالتالي تسعى الدراسة للإجابة عن التساؤلين الرئيسيين الآتيين:

- هل أثرت جائحة كورونا في ربحية المصارف الإسلامية السورية؟
- هل يوجد أثر الكفاءة التشغيلية في ربحية المصارف الإسلامية السورية؟

3. أهمية البحث:

تظهر أهمية الدراسة أولاً كونها تدرس تأثير جائحة كورونا في ربحية المصارف الإسلامية في ظل ظروف خاصة محيطة بعمل هذه المصارف والتي تمثل حالة مركبة من حرب طويلة وعقوبات اقتصادية مما يعطي هذه الدراسة خصوصيتها، وثانياً تسهم دراسة تأثير الكفاءة التشغيلية في ربحية المصارف الإسلامية في فهم كيف استجابت المصارف الإسلامية السورية لظروف الأزمات. إن اختبار تأثير جائحة كورونا في ربحية المصارف الإسلامية

يساعد في تقييم نجاعة الاجراءات التي اتخذتها المصارف الاسلامية بهدف ادارة المخاطر المرافقة للجائحة وبالتالي الحد من الآثار السلبية لأية جائحات مستقبلية.

4. فرضيات البحث:

الفرضية الأولى H_{01} : لا يوجد تأثير معنوي لجائحة كورونا في ربحية المصارف الاسلامية السورية
الفرضية الثانية H_{02} : لا يوجد تأثير معنوي للكفاءة التشغيلية في ربحية المصارف الاسلامية السورية.

5. الدراسات السابقة:

تناولت العديد من الدراسات العوامل المؤثرة في ربحية المصارف عموماً والمصارف الاسلامية خصوصاً، وبعضها بحث في تأثير جائحة كورونا في ربحية مصارف اسلامية عالمية وليس في سورية، ومن هذه الدراسات:
الدراسات باللغة العربية:

1- دراسة ونوس و سليمان (2022) بعنوان: أثر العوامل الداخلية والخارجية في ربحية المصارف المدرجة في سوق دمشق للأوراق المالية

هدفت الدراسة إلى اختبار تأثير عدد من المتغيرات الداخلية والخارجية في معدل العائد على الأصول للمصارف التقليدية الخاصة المدرجة في سوق دمشق للأوراق المالية خلال الفترة بين عامي 2011 و 2018. واستخدم الباحثان أسلوب الانحدار الخطي المتعدد التجميعي الذي أشار إلى وجود تأثير موجب وهام لنسبة حقوق الملكية إلى إجمالي الأصول والتضخم في ربحية المصارف المدروسة بينما لم يثبت وجود تأثير هام إحصائياً لحجم المصرف ونسبة السيولة والكفاءة التشغيلية وتركز السوق ونمو الناتج القومي الاجمالي في ربحية المصارف المدروسة.

إلا أن هذه الدراسة لم تشمل فترة جائحة كورونا ولم تأخذ بعين الاعتبار الازياح الناجمة عن إعادة تقييم مراكز القطع مما تسبب في تضخيم الأرباح بأرباح غير محققة ناجمة عن تغير سعر الصرف. وهذا يفسر التأثير الايجابي لنسبة حقوق الملكية إلى إجمالي الأصول ولمعدل التضخم في معدل العائد على الأصول. كما لم تشمل عينة هذه الدراسة المصارف الاسلامية واستخدمت مؤشر واحد للربحية هو معدل العائد على الأصول.

2- دراسة الشعار ومهنا وغدير (2022). بعنوان: أثر كفاية رأس المال، الكفاءة التشغيلية والسيولة في ربحية المصارف الخاصة (دراسة مقارنة بين المصارف الاسلامية والتقليدية في سورية).

اختبرت هذه الدراسة تأثير كفاية رأس المال، الكفاءة التشغيلية، ونسبة السيولة في ربحية المصارف الخاصة الاسلامية والتقليدية العاملة في سورية. وقد شملت فترة الدراسة المدة بين عامي 2011 و 2020 واستخدمت معدل العائد على حقوق الملكية كمؤشر للربحية واستخدمت تحليل الانحدار اللوجي المتعدد للمصارف التقليدية و اختبارات التكامل المشترك للمصارف الاسلامية. وقد خلصت الدراسة إلى أن نسبة كفاية رأس المال هو المتغير الوحيد الهام والمؤثر ايجاباً في ربحية المصارف التقليدية بينما توجد علاقة تكامل طويلة الأجل بين الكفاءة التشغيلية و ربحية المصارف الاسلامية بينما لا تتكامل نسبة كفاية راس المال أو نسبة السيولة مع ربحية المصارف الاسلامية.

لم تأخذ هذه الدراسة بالاعتبار أزمة كورونا التي بدأت عام 2019 وتسببت بإغلاق قطاع الأعمال في عام 2020 كما لم يتم تعديل نسبة معدل العائد على حقوق الملكية لاستبعاد أرباح إعادة تقييم مراكز القطع البنوي وقد استخدمت مؤشر واحد لربحية المصارف هو معدل العائد على الأصول.

3- دراسة الحناوي و العدي (2022). بعنوان: أثر الضرائب المؤجلة في ربحية المصارف"دراسة تطبيقية على المصارف التقليدية في سوق دمشق للأوراق المالية".

هدفت هذه الدراسة إلى اختبار تأثير الضرائب المؤجلة في ربحية المصارف التقليدية في سورية خلال الفترة من 2012 إلى 2019 وذلك باعتماد أسلوب الانحدار البسيط. وجدت هذه الدراسة تأثير إيجابي للضرائب المؤجلة في مؤشري العائد على الأصول والعائد على حقوق الملكية. وأوصت الدراسة المحللين الماليين بتفسير التغييرات في أرصدة عناصر الضرائب المؤجلة من أجل توعية المستثمرين لأثرها على القوائم المالية للشركة.

لم تأخذ هذه الدراسة العوامل الأخرى المؤثرة في ربحية المصارف لاسيما الكفاءة التشغيلية كما أنها لم تتناول فترة جائحة كورونا وبالتالي لم ينعكس تأثير الجائحة في ربحية المصارف المدروسة. كما لم يتم تعديل نسبة معدل العائد على حقوق الملكية لاستبعاد أرباح إعادة تقييم مراكز القطع البنوي.

4- دراسة حمزات والشلبي (2022). بعنوان: أثر معدل عائد الاستثمار في حجم الودائع الاستثمارية "دراسة مقارنة في المصارف الإسلامية السورية".

اختبرت هذه الدراسة تأثير معدل العائد على حسابات الاستثمار المطلقة في حجم الودائع بالليرة السورية والعملات الأجنبية لدى بنكي الشام وسورية الدولي الإسلامي خلال الفترة من عام 2011 إلى 2019. وتوصل الباحثان إلى وجود أثر إيجابي لارتفاع معدل العائد على حجم حسابات الاستثمار المطلقة بالليرة السورية لدى بنك الشام بينما لم يظهر لها أثر لدى بنك سورية الدولي الإسلامي بينما ظهرت نتائج متناقضة لارتفاع معدل العائد على حجم حسابات الاستثمار المطلقة بالعملات الأجنبية بين المصرفين الإسلاميين. ولم تتعرض هذه الدراسة لفترة جائحة كورونا كما أنها اقتصرت على مصرفين إسلاميين دون بنك البركة-سورية.

الدراسات باللغة الأجنبية:

1- دراسة (Azad et al., 2023):

What determines the profitability of Islamic banks: lending or fee?

بعنوان: ما الذي يحدد ربحية المصارف الإسلامية: الاقراض أم العمولات؟

هدفت الدراسة إلى معرفة أثر القروض المصرفية والدخل من العمولات على ربحية المصارف التقليدية والإسلامية. استخدمت الدراسة بيانات مصارف إسلامية وتقليدية لعينة من عشرين دولة خلال الفترة من 2000 إلى 2015. حيث أظهرت النتائج بأن العمولات المصرفية تشكل عامل هام مؤثر في ربحية المصارف الإسلامية في حين أن نسبة القروض إلى الودائع لا تؤثر بشكل هام في ربحية المصارف الإسلامية كما تؤثر في ربحية المصارف التقليدية. حذر الباحثون المصارف الإسلامية من الاعتماد بشكل كبير على الدخل من العمولات قد يؤثر في نموها وربحياتها و استدامتها في الأجل الطويل.

2- دراسة (2002) Tho'in:

Effect of Financing to Deposit Ratio and Operational Efficiency on Profitability (ROA) with NPF as Intervening in Islamic Banks.

بعنوان: تأثير نسبة التمويلات إلى الودائع والكفاءة التشغيلية في الربحية (العائد على الأصول) مع ادخال التمويلات غير المنتجة كمتغير وسيط في المصارف الاسلامية

هدفت الدراسة إلى اختبار تأثير نسبة التمويلات إلى الودائع والكفاءة التشغيلية في العائد على الأصول لدى البنوك الأندونيسية خلال الفترة 2015 إلى 2021 وذلك بالاعتماد على بيانات شهرية. استخدم الباحث تحليل الانحدار الخطي المتعدد وتحليل المسار وأظهرت نتائج تحليل الانحدار أن لكلٍ من المتغيرين تأثير هام في العائد على الأصول فيما أظهرت اختبارات تحليل المسار أن تأثير الكفاءة التشغيلية يمر عبر المتغير الوسيط المتمثل بنسبة التمويلات غير المنتجة. ولم تتعرض هذه الدراسة لتأثير جائحة كورونا في معدل العائد على الأصول رغم أنها شملت فترة انتشار الوباء.

3- دراسة (2021) Wahyudi et al.:

Determinants of profitability in Indonesian Islamic banking: Case study in the COVID-19 period.

بعنوان: محددات ربحية المصارف الاسلامية الاندونيسية: دراسة حالة خلال فترة انتشار جائحة كورونا

هدفت الدراسة إلى اختبار تأثير عدد من المتغيرات في ربحية أحد عشر مصرف اسلامي أندونيسي خلال عام 2020 حيث انتشر وباء كورونا معبراً عنها بمعدل العائد على الأصول. استخدمت الدراسة تحليل الانحدار الخطي المتعدد المقطعي وتوصلت الدراسة إلى أن نسبة كفاية رأس المال و نسبة الكفاءة التشغيلية لهما تأثير هام في ربحية المصارف الاسلامية الاندونيسية.

ما يميز هذه الدراسة:

تختلف هذه الدراسة عن الدراسات السابقة في العديد من الجوانب أبرزها:

-تناولت هذه الدراسة متغير جديد لم تتناوله الدراسات السابقة في سورية وهو نسبة العمولات والرسوم لاسيما بعد أن أظهرت عدة دراسات مراجعة المصارف الخاصة السورية لأسعار خدماتها باتجاه رفع العمولات والرسوم مقابل خدمات السحب النقدي وفتح الحسابات والخدمات الأخرى (Laham et al., 2023, pp.87-99).

- أخذت هذه الدراسة بالاعتبار الظروف الاستثنائية التي مرت بها المصارف السورية والتي تسببت في أرباح غير محققة ناجمة عن إعادة تقييم مراكز القطع. حيث تم تعديل مؤشرات الربحية واستبعاد هذه الأرباح غير الحقيقية.

-تناولت الدراسة حالة المصارف السورية الخاصة خلال فترة انتشار جائحة كورونا حيث أضافت متغير يعبر عن الجائحة إلى النموذج وهو أمر لم تأخذه الدراسات السابقة بالحسبان.

6. الإطار النظري:

6.1 تعريف المصرف الاسلامي

يعرف المصرف الاسلامي بأنه : (مؤسسة مصرفية تلتزم في جميع معاملاتها ونشاطها الاستثماري وإدارتها لجميع أعمالها بالشريعة الاسلامية ومقاصدها، وكذلك بأهداف المجتمع الاسلامي داخلياً وخارجياً) (يسري، 1995، 25-31) ويظهر من التعريف أنه لم يقتصر تعريف المصرف الاسلامي بالمصرف الذي لا يتقاضى فوائد أو يدفع فوائد بل تطور ليشمل أيضاً التزام المصرف بقواعد الشريعة الاسلامية ومقاصدها عند قيامه بأنشطته كافة.

6.2 مؤشرات ربحية المصارف الاسلامية

على الرغم من اختلاف النشاط الرئيسي للمصارف الاسلامية عن نظيراتها في المصارف التقليدية إلا أنها تشترك معها في عدد من مؤشرات الربحية كمعدل العائد على الأصول الذي يقيس كفاءة المصرف في توظيف أصوله في سبيل تحقيق الأرباح فيما يقيس معدل العائد على حقوق الملكية قدرة المصرف على استثمار حقوق ملكيته في تحقيق الأرباح ويحسب من خلال ضرب الزاوية المالية بمعدل العائد على الأصول. كما يقيس مؤشر ربحية السهم الواحد نصيب السهم الواحد من الربح وهو حساس لعدد الأسهم التي يصدرها المصرف.

وتختلف المصارف الاسلامية عن المصارف التقليدية في أن المصارف التقليدية تعتمد بشكل كبير على مؤشر صافي هامش الفوائد (Net Interest Margin) والذي يحسب بالفرق بين الفوائد التي يحصلها المصرف من المقترضين وتلك التي يدفعها للمودعين ويقابلها في المصارف الاسلامية مؤشر صافي نسبة الربح من عمليات التمويل والاستثمار الاسلامي (Net profit-and-loss sharing margin) والذي يحسب بالفرق بين أرباح عمليات التمويل والاستثمار التي يدخل بها المصرف الاسلامي و تلك التي يتحملها المصرف.

6.3 العوامل المؤثرة في ربحية المصارف الاسلامية

تتأثر ربحية المصارف الاسلامية بعوامل كثيرة منها الداخلية كحجم المصرف و عمره و كفاية رأس المال و كفاءته التشغيلية والسيولة والضرائب المؤجلة ونجاعته في إدارة المخاطر ومستوى الحوكمة الذي يطبقه المصرف (2022; Alqsass and Maali الشعار وآخرون، 2022; الحناوي والعدوي، 2022; ونوس وسليمان، 2022) بالإضافة إلى عوامل خارجية كثيرة كالنمو الاقتصادي والتضخم والحصة السوقية والأزمات والقرارات الحكومية والنشاط الاقتصادي عموماً (Laham et al., 2023; Wahyudi et al., 2021; Indriani and Irawati, 2021). وستركز هذه الدراسة على دراسة تأثير جائحة كورونا و كفاءته التشغيلية في ربحية المصارف الاسلامية مع وجود متغيرين ضابطين هما نسبة العمولات والرسوم التي يتقاضاها المصرف و حجم المصرف.

6.4 ربحية المصارف الاسلامية السورية

عادة ما تتراقظ الظروف الاقتصادية الجيدة مع ارتفاع مبيعات قطاع الأعمال وانخفاض حالات التعثر والافلاس مما ينعكس ايجاباً على أرباح المصارف. وفي المقابل، تتسبب ظروف الحروب والأزمات في تدهور المبيعات و ازدياد حالات التعثر والافلاس وبالتالي تزداد نسب الديون غير المنتجة و المخصصات وتخفض أرباح المصارف.

لقد تسببت ظروف الحرب التي عاشتها سورية منذ عام 2011 في تراجع أنشطة القطاعات الاقتصادية المختلفة وارتفاع حالات التعثر. وفي نفس الوقت تسببت العقوبات الدولية التي فرضت على اثنين من المصارف الإسلامية، بنك سورية الدولي الإسلامي وبنك الشام، في تراجع الإيرادات الناجمة عن الأنشطة الدولية من فتح اعتمادات ومنح كفالات التي كانت تدر إيرادات هامة لهذه المصارف.

كما أن صدور عدة قرارات تهدف إلى ضبط التسهيلات الائتمانية الممنوحة من المصارف بما فيها التريث بمنح التسهيلات أو إيقافها ولاحقاً لذلك توجيهها لقطاعات معينة الغاية منها دعم العملية الانتاجية كل ذلك أسهم في تقييد قدرة المصارف على منح التسهيلات الائتمانية وبالتالي أثر في ربحيتها وفيما يلي نورد أهم القرارات المذكورة ذات الصلة:

أ. قرار مجلس النقد والتسليف رقم (28/م ن) تاريخ 2017/01/25 والمتعلق بضوابط منح التسهيلات الائتمانية على شكل حساب جاري مدين، والقرار رقم (52/م ن) تاريخ 2017/04/11 والمتضمن ضوابط منح التسهيلات الائتمانية بالليرات السورية، والتي تم إنهاؤها لاحقاً بموجب قرار مجلس النقد والتسليف رقم 172/م ن تاريخ 2018/11/22.

ب. قرار لجنة إدارة مصرف سورية المركزي رقم 99/ل أ تاريخ 2018/01/21 والخاص بالتريث في منح قروض وتمويلات لأغراض شراء السيارات.

ت. تعميم حاكم مصرف سورية المركزي رقم (16/2922/ص) تاريخ 2020/6/11 الصادر عملاً بتوجيهات رئيس مجلس الوزراء بالتريث بعمليات المنح/ تجديد التسهيلات

ث. تعميم حاكم مصرف سورية المركزي رقم (16/4774/ص) تاريخ 2020/09/08 استناداً إلى توصية اللجنة الاقتصادية رقم 35 لعام 2020، والقاضي باستئناف منح التسهيلات الائتمانية حصراً (القطاع الزراعي- المشاريع الصغيرة والمتوسطة- أصحاب الدخل المحدود) بالإضافة إلى القروض العقارية.

ج. قرار مجلس النقد والتسليف رقم (433/م ن) تاريخ 2021/21/30 المتضمن السماح للمصارف ودون التقييد بموجب التعميم رقم (16/4774/ص) لعام 2020، منح قروض/تسهيلات لتمويل المشاريع الصناعية إضافة إلى المشاريع الخاصة بإنتاج الطاقة المتجددة.

نتيجة لذلك لجأت المصارف السورية عموماً إلى إعادة تسعير خدماتها بهدف تعويض الإيرادات الفائتة وهذا يتفق مع نظرية الطوارئ (Contingency Theory) والتي تشير إلى أن الشركات تسعى إلى توظيف مواردها وتعديل استراتيجياتها لمواجهة المتغيرات الداخلية والخارجية. كما أصبحت المصارف السورية أقل حذراً في تقديم أية تسهيلات جديدة (Laham et al., 2023, pp.87-99) بما يتفق مع نظرية التوجه الريادي (Entrepreneurial Orientation) التي تشير إلى أن المصارف تتصرف بشكل ريادي في ظروف الأزمات بحيث تغير من درجة تحملها للمخاطر ومن فاعليتها وتعمل على ابتكار خدمات جديدة. وهذا ينسجم أيضاً مع نظرية الألعاب (Game Theory) حيث تسعى المصارف إلى تقديم خدمات جديدة لاسيما الالكترونية بهدف البقاء والمنافسة.

7. منهج البحث وإجراءاته:

تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي في هذه الدراسة. ففي الجانب النظري استخدمت الدراسة المنهج الوصفي من خلال استعراض حالة المصارف الإسلامية السورية خلال جائحة كورونا وأهم القرارات التي أصدرها مصرف سورية المركزي خلال فترة الدراسة والتي ربما أثرت في ربحية المصارف الإسلامية السورية. في حين اعتمدت الدراسة المنهج التحليلي في دراسة تأثير جائحة كورونا والكفاءة التشغيلية في ربحية المصارف الإسلامية السورية.

جمع البيانات: تستخدم الدراسة البيانات السنوية التي تم الحصول عليها من موقع هيئة الأوراق والأسواق المالية السورية وهي منشورة على المواقع الرسمية للمصارف لعينة الدراسة.

مجتمع وعينة البحث: يتكون مجتمع الدراسة من جميع المصارف الإسلامية العاملة في سورية ويظهر الجدول (1) عينة الدراسة المكونة من ثلاثة مصارف إسلامية مدرجة في سوق دمشق للأوراق المالية خلال فترة الدراسة من 2016 وحتى 2022.

الجدول رقم (1) عينة الدراسة

اسم البنك	الرمز	رأس المال المصرح به	تاريخ التأسيس	تاريخ المباشرة
بنك سورية الدولي الإسلامي	SIIB	15 مليار	2007/4/9	2007/9/15
بنك الشام	CHAM	12 مليار	2006/9/7	2007/5/23
بنك البركة	BBSY	60 مليار	2009/12/29	2010/6/14

المصدر: بالاعتماد على المعلومات المنشورة على المواقع الإلكترونية للمصارف المدروسة

متغيرات ومنهجية البحث:

سيتم قياس الربحية (المتغير التابع) بالاعتماد على مقياسين هما معدل العائد على الأصول ومعدل العائد على حقوق الملكية. تأثرت المصارف السورية بظروف الحرب ونجم عنها انخفاض في قيمة الليرة السورية وترتب عليه تحقيق المصارف عموماً أرباحاً غير محققة ناجمة عن إعادة تقييم مراكز القطع. ولتحديد تأثير هذه الأرباح غير المحققة، تم استبعاد هذه الأرباح من صافي الربح.

اختبرت الدراسة تأثير جائحة كورونا والكفاءة التشغيلية بالإضافة إلى عدد من المتغيرات الضابطة هي حجم المصرف و نسبة العمولات والرسوم وتمت قياس هذه المتغيرات حسب الأسلوب الوارد في الجدول (2) وعلى أساس سنوي.

الجدول رقم (2) : أسلوب قياس متغيرات الدراسة

أسلوب القياس	المتغير	
العمولات والرسوم المصرفية إلى إجمالي الأصول	نسبة العمولات والرسوم (FR)	المتغيرات المستقلة
المصاريف التشغيلية إلى الدخل التشغيلي	الكفاءة التشغيلية (OE)	
لوغاريتم إجمالي الأصول	حجم المصرف (SIZE)	
متغير وهمي يعبر عن وباء كورونا ويأخذ القيمة 1 لعامي 2020 و 2021 و 0 في باقي الأعوام	كوفيد (COVID)	
صافي الربح بعد الضريبة (بعد استبعاد الأرباح الناجمة عن إعادة تقييم مراكز القطع) إلى إجمالي الأصول	معدل العائد على الأصول (ROA)	المتغير التابع (الربحية)
صافي الربح بعد الضريبة (بعد استبعاد الأرباح الناجمة عن إعادة تقييم مراكز القطع) إلى حقوق الملكية	معدل العائد على حقوق الملكية (ROE)	

ونعرض فيما يلي لبيانات الدراسة:

الجدول رقم (3): بيانات الدراسة

نسبة العمولات والرسوم	الكفاءة التشغيلية	كوفيد	حجم المصرف	معدل العائد على الأصول	معدل العائد على حقوق الملكية	عام	المصرف
1.926%	34.39%	0	28.66	0.36%	4.77%	2022	بنك سورية الدولي الاسلامي
0.486%	23.34%	1	28.57	1.26%	18.02%	2021	بنك سورية الدولي الاسلامي
0.563%	22.93%	1	27.92	0.66%	10.27%	2020	بنك سورية الدولي الاسلامي
0.650%	26.65%	0	27.25	0.86%	17.70%	2019	بنك سورية الدولي الاسلامي
1.164%	52.93%	0	26.63	0.63%	8.36%	2018	بنك سورية الدولي الاسلامي
1.454%	62.47%	0	26.39	0.53%	6.08%	2017	بنك سورية الدولي الاسلامي
1.243%	58.52%	0	26.03	2.04%	15.32%	2016	بنك سورية الدولي الاسلامي
4.783%	35.97%	0	28.02	2.27%	13.59%	2022	بنك البركة
4.996%	22.73%	1	27.96	2.38%	17.71%	2021	بنك البركة
3.737%	28.96%	1	27.42	1.76%	15.57%	2020	بنك البركة
3.125%	32.81%	0	26.52	1.99%	17.35%	2019	بنك البركة
1.882%	37.02%	0	26.71	1.10%	13.62%	2018	بنك البركة
1.881%	36.67%	0	26.52	1.14%	13.34%	2017	بنك البركة
2.569%	32.37%	0	26.23	1.49%	12.91%	2016	بنك البركة
1.029%	87.55%	0	27.65	0.15%	1.12%	2022	بنك الشام
1.065%	65.66%	1	27.41	0.23%	1.59%	2021	بنك الشام
1.031%	70.52%	1	26.70	0.31%	1.91%	2020	بنك الشام
1.399%	40.14%	0	25.94	1.72%	11.11%	2019	بنك الشام
0.906%	68.11%	0	25.78	0.55%	3.45%	2018	بنك الشام
1.162%	70.69%	0	25.63	0.41%	2.35%	2017	بنك الشام
0.845%	18.98%	0	25.95	0.86%	6.66%	2016	بنك الشام

ومن أجل إختبار تأثير المتغيرات المستقلة في الربحية، تم اجراء اختبار استقرار المتغيرات المدروسة حيث تبين أن المتغيرات جميعها مستقرة عند المستوى $I(0)$ كما يظهر في الجدول (4) مما يعني إمكانية استخدام أسلوب الانحدار اللوجي المتعدد المبني على طريقة المربعات الصغرى. تم تقدير المعادلتين الآتيتين:

$$ROA_{it} = \alpha + \beta_1 FR_{it} + \beta_2 OE_{it} + \beta_3 Size_{it} + \beta_4 OCOVID_t + \varepsilon_{it}$$

$$ROE_{it} = \alpha + \beta_1 FR_{it} + \beta_2 OE_{it} + \beta_3 Size_{it} + \beta_4 OCOVID_t + \varepsilon_{it}$$

ثم تمت المفاضلة بين نموذجي الانحدار التجميعي ونماذج المؤثرات الثابتة بالاعتماد على اختبار (Likelihood Ratio).

تحليل البيانات واختبار الفرضيات:

يوضح الجدول (4) أهم المؤشرات الإحصائية الوصفية لمتغيرات الدراسة المستقلة والتابعة. حيث يظهر الجدول تفاوت نسبة الكفاءة التشغيلية بين سنوات الدراسة وبين المصارف المختلفة. حيث سجل بنك الشام أقل نسبة لهذا المؤشر بنحو 18.98% في عام 2016. كما كانت أعلى نسبة لدى بنك الشام لعام 2022. أما المتوسط العام للكفاءة التشغيلية فبلغ 44.26%، وهو مستوى مقبول مقارنة بالمعايير العالمية للمصارف. وترجع هذه النتيجة إلى عدة عوامل، منها امتلاك المصارف الإسلامية السورية لروافع مالية عالية نسبياً، تتألف في معظمها من حسابات جارية بدون فوائد، والتي تمكنها من استثمار أصولها وتحقيق عوائد أعلى. كذلك، فإن توسع المصارف الإسلامية في حجمها ونشاطاتها يساهم في خفض نسبة التكاليف الثابتة التشغيلية إلى إيراداتها. إضافة إلى ذلك، فإن بعض مكونات معادلة الكفاءة التشغيلية، مثل الرواتب والأجور و كذلك الاهتلاكات عائدة لأصول مسجلة بالقيمة التاريخية، لم تتأثر بارتفاع معدلات التضخم بنفس القدر الذي ارتفعت به إيرادات المصارف الإسلامية. وتعود أسباب التفاوت في نسب الكفاءة إلى عوامل داخلية وخارجية عديدة، فمثلاً، بينما لم يتأثر بنك البركة بأي عقوبات أمريكية، اضطر بنك الشام إلى دفع أتعاب محاماة مرتفعة في بعض الأعوام لرفع تلك العقوبات، مما أثر سلباً على كفاءته التشغيلية، وهو مما يفسر تسجيله لأعلى نسبة مصاريف تشغيلية في عام 2022 وأدنى نسبة في 2016.

خلال الفترة المدروسة، بلغ متوسط نسبة العمولات والرسوم إلى إجمالي الأصول للمصارف الإسلامية 1.8%. هذه النسبة مرتفعة نسبياً، وتدلل على أن المصارف الإسلامية السورية تسعى لزيادة عمولاتها ورسومها لتعويض انخفاض إيراداتها من المحافظ التمويلية نتيجة ارتفاع نسب ديونها غير المنتجة والقرارات التي تمت الإشارة إليها سابقاً والتي أدت إلى تقليص التسهيلات الائتمانية. وكانت أعلى نسبة 4.99% لدى بنك البركة عام 2021 فيما سجلت أدنى قيمة لدى بنك سورية الدولي الإسلامي للعام 2021 أيضاً.

كما يتبين من الجدول (4) أن متوسط معدل العائد على الأصول هو 1% تقريباً ويعتبر معدلاً مقبولاً بالمقارنة مع وسطي ما تحققه المصارف عربياً وعالمياً. كما أن أعلى نسبة سجلتها هذه المصارف هي 2.38% لبنك البركة عام 2021 فيما حقق بنك الشام أدنى نسبة عام 2022 كما يتضح من الشكل (1). بينما كان متوسط معدل العائد على حقوق الملكية أعلى بكثير من معدل العائد على الأصول حيث سجل المتوسط 10.13% تقريباً ويتراوح بين 18% لبنك سورية الدولي الإسلامي في عام 2021 و 1% لبنك الشام في عام 2022. ويعود سبب اختلاف وارتفاع معدل العائد على حقوق الملكية إلى امتلاك المصارف الإسلامية السورية لحجم كبير من الودائع.

الجدول رقم (4) : الخصائص الإحصائية لمتغيرات الدراسة

ROA	ROE	نسبة العمولات والرسوم	الكفاءة التشغيلية	حجم البنك	
0.010801	0.101332	0.018046	0.442576	26.94704	متوسط
0.008622	0.111119	0.012430	0.366712	26.70273	وسيط
0.023816	0.180247	0.049964	0.875506	28.66413	أعلى قيمة
0.001481	0.011180	0.004859	0.189753	25.63310	أدنى قيمة
0.007133	0.059834	0.013164	0.200065	0.923241	انحراف معياري
0.439936	-0.185767	1.333911	0.582668	0.369440	الالتواء
1.867582	1.582528	3.670466	2.096746	1.962086	التقلطح
6.46747	3.97529	3.73568	6.32892	1.48712	ADF Fisher
0.3729	0.6800	0.7124	0.3874	0.9603	Prob.

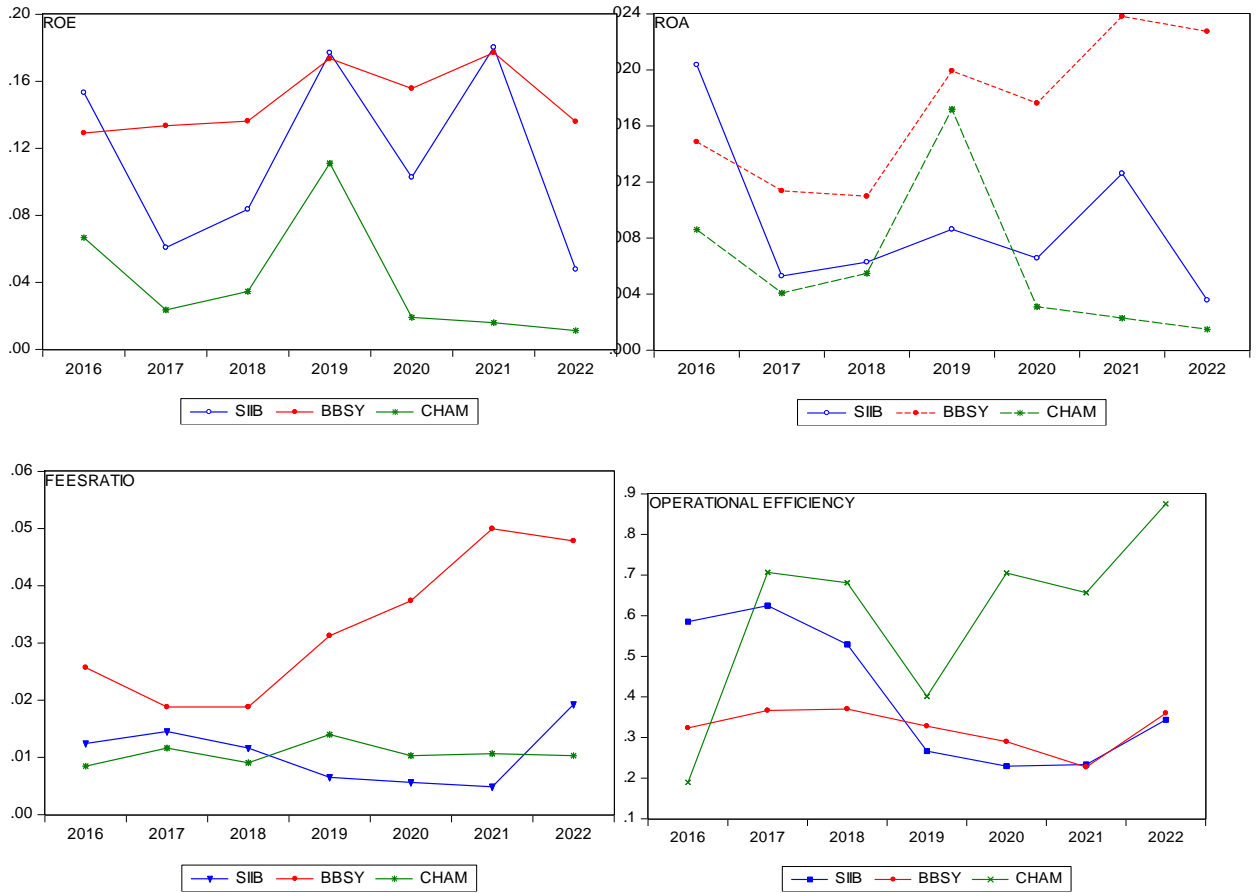
المصدر: بالاستفادة من البرنامج الإحصائي Eviews

يشير الجدول (5) إلى وجود معاملات ارتباط مرتفعة بين متغيري الربحية والمتغيرات المستقلة ماعدا حجم البنك. لكن معاملات الارتباط بين المتغيرات المستقلة مع بعضها بعضاً منخفضة وتقل كلها عن 35 بالمئة مما يعني عدم وجود مشكلة ارتباط بين المتغيرات المستقلة.

الجدول رقم (5) : مصفوفة معاملات الارتباط بين متغيرات الدراسة

حجم البنك	الكفاءة التشغيلية	نسبة العمولات والرسوم	ROE	ROA	المتغير
0.044112	0.541969-	0.732564	0.813712	1	ROA
0.207895	0.741107 -	0.447071	1		ROE
0.254183	0.336570 -	1			نسبة العمولات والرسوم
-0.329920	1				الكفاءة التشغيلية
1					حجم البنك

المصدر: بالاستفادة من البرنامج الإحصائي Eviews



الشكل رقم (1) : رسوم بيانية لمتغيرات الدراسة

8. التحليل والمناقشة:

يتبين نتيجة إجراء اختبار (Likelihood Ratio) أن نموذج الانحدار التجميعي هو المناسب في معادلة معدل العائد على حقوق الملكية حيث يزيد مستوى الدلالة عن 5 بالمئة فيما تفوق نموذج المؤثرات الثابتة على النموذج التجميعي بمستوى دلالة 4.56 بالمئة في معادلة معدل العائد على الأصول. وفيما يلي تحليل لنتائج النماذج المقدر في الجدول (6):

- إن نسبة العمولات والرسوم لها تأثير موجب وهام إحصائياً في معدل العائد على الأصول بمعامل 0.416876 مما يعني أن المصارف التي تتقاضى رسوم وعمولات أكثر قد حققت عائداً أعلى على الأصول. يمكن تفسير ذلك بتوجه المصارف إلى تعديل عمولاتها لتعويض نقص الإيرادات الناجم عن تقييد التسهيلات نتيجة تعليمات مصرف سورية المركزي وخشيتها من ارتفاع نسبة الديون غير المنتجة بسبب الظروف الاقتصادية السيئة التي تزيد مخاطر التعثر والافلاس. أي أن الاعتماد المتزايد على الدخل الناجم عن العمولات والرسوم يحقق لها معدل عائد أعلى على الأصول وهذا يتفق مع نتائج عدد من الدراسات السابقة (Azad et al., 2023; Inrdriyani & Ridwan et al., 2021) الذي تبين له تأثير سلبي وهام للعمولات والرسوم في معدل العائد على الأصول.

وفي المقابل، لم يظهر وجود تأثير هام لنسبة العمولات والرسوم في معدل العائد على حقوق الملكية. يمكن تفسير ذلك بأن ارتفاع نسبة العمولات والرسوم تدل على كفاءة أعلى في استخدام الأصول لكنها قد لا تعكس بالضرورة قدرة أعلى على تحقيق معدل عائد مرتفع على حقوق الملكية. حيث تتداخل هنا نسبة الرفع المالي (التي تعبر عن حجم الودائع في حالة المصارف) لأن معدل العائد على حقوق الملكية يساوي معدل العائد على الأصول مضروباً بالرفع المالي.

يتبين من الجدول (6) أن للكفاءة التشغيلية تأثير سلبي وهام إحصائياً في كل من معدل العائد على حقوق الملكية ومعدل العائد على الأصول بمعاملات -0.205863 و -0.012571 مما يعني أن المصارف التي تعاني من ارتفاع التكاليف التشغيلية تنخفض لديها مؤشرات الربحية وهذا يتفق مع الشعار ومهنا وغدير (2022) فيما يخص العائد على حقوق الملكية ويمكن تفسيره بأن التكاليف التشغيلية تخفض صافي الربح وبالتالي تخفض من بسط نسبة مؤشري الربحية. وتتفق هذه النتيجة مع نتائج الدراسات السابقة لاسيما (Inrdriyani & Irawati (2022) and Tho'in (2023)).

- يتبين من الجدول (6) أيضاً أن حجم البنك وجائحة كورونا لم يؤثر في معدل العائد على حقوق الملكية حيث ارتفع هذا المؤشر في عام 2021 رغم انخفاضه عام 2020 ويمكن تفسير ذلك بأن المصارف الإسلامية استطاعت رغم الجائحة تحسين كفاءتها التشغيلية وتنوع مصادر دخلها وتقليل تكاليفها. وذلك يتفق مع دراسة (Qubbaja et al., 2023). في حين أثر حجم البنك في معدل العائد على الأصول عند مستوى دلالة 10 بالمئة فقط وبشكل سلبي وربما يعود ذلك إلى أن المصارف الأكبر حجماً تواجه صعوبة في إدارة أصولها ومخاطرها في ظل الأوضاع غير المستقرة. في حين لم تؤثر جائحة كورونا في معدل العائد على الأصول.

الجدول رقم (6): نتائج تحليل الانحدار المتعدد

ROA		ROE		المتغير التابع
المؤثرات الثابتة	التجميعي	المؤثرات الثابتة	التجميعي	المتغير المستقل
0.086880	0.067189	0.509486	0.288145	الثابت
0.416876**	0.359465**	0.204101	1.064977	نسبة العمولات والرسوم
*-0.012571	-0.014388**	-0.132589**	-0.205863**	الكفاءة التشغيلية
*-0.002909	-0.002102	-0.013244	-0.004228	حجم البنك
0.001242	0.0000441	0.013022	-0.0003483	كوفيد
0.717038	0.693225	0.742147	0.599240	معامل التحديد
5.912755	9.038860	6.715737	5.981031	F-stat.
0.002965	0.000513	0.001638	0.003855	Prob.
3.879522		0.589088		Redundant Fixed Effect Test (Likelihood Ratio)
0.0456		0.5680		Prob.

المصدر: بالاستفادة من البرنامج الإحصائي Eviews

وبالتالي يمكن عرض المعادلتين النهائيتين التي تظهر المتغيرات الهامة احصائياً كالتالي:

الكفاءة التشغيلية * -0.205863 = معدل العائد على حقوق الملكية

نسبة العمولات والرسوم * 0.416876 + الكفاءة التشغيلية * -0.012571 - حجم البنك * -0.002909 = معدل العائد على الأصول

9. النتائج والتوصيات:

تناولت هذه الدراسة تأثير جائحة كورونا و الكفاءة التشغيلية في ربحية المصارف الاسلامية السورية. وتوصلت الدراسة إلى مايلي:

أ- عدم رفض الفرضية الأولى، وهذا يعني عدم وجود تأثير معنوي لجائحة كورونا في ربحية المصارف الاسلامية السورية.

ب- رفض الفرضية الثانية، وهذا يعني وجود تأثير معنوي للكفاءة التشغيلية في ربحية المصارف الاسلامية السورية.

كما أظهرت الدراسة لجوء المصارف الاسلامية إلى العمولات والرسوم لتعويض انخفاض ايراداتها التشغيلية دون وجود تأثير لحجم البنك في ربحية المصارف الاسلامية.

توصي هذه الدراسة بضرورة تعزيز كفاءة المصارف الإسلامية من خلال تخفيض المصاريف التشغيلية التي تؤثر سلباً في مؤشرات الربحية. كما تنصح الدراسة بالتوازن بين فرض الرسوم والعمولات والحفاظ على رضا العملاء والتنافسية في السوق. بالإضافة لذلك تشجع الدراسة المصارف الإسلامية على ابتكار منتجات وخدمات جديدة ومتنوعة تلبي حاجات العملاء في ظل الظروف الاقتصادية الراهنة وتساهم في زيادة الإيرادات وتحسين استخدام الأصول.

تدعو الدراسة مصرف سورية المركزي إلى مراجعة السياسات والقواعد المنظمة للتمويلات الإسلامية وتيسير منحها بما يتناسب مع متطلبات التنمية والإعمار في البلاد ويحفز النشاط الاقتصادي والاستثماري. كما ينبغي على المحللين الماليين الانتباه إلى الكفاءة التشغيلية للمصارف الاسلامية لاسيما البنود المتعلقة بالرسوم والعمولات عند تقدير أرباحها المستقبلية.

المراجع:

1- الشعار، عبد القادر؛ مهنا، زينب؛ غدير، هيفاء (2022). أثر كفاية رأس المال، الكفاءة التشغيلية والسيولة في ربحية المصارف الخاصة (دراسة مقارنة بين المصارف الاسلامية والتقليدية في سورية)، مجلة جامعة حماة، المجلد 5، العدد 10، 76-90.

2- الحناوي، أنس الدين؛ العدي، ابراهيم (2022). أثر الضرائب المؤجلة في ربحية المصارف"دراسة تطبيقية على المصارف التقليدية في سوق دمشق للأوراق المالية". مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والسياسية، المجلد 38، العدد 4، 263-299.

3- حمزات، لمى؛ الشلبي، مطيع (2022). أثر معدل عائد الاستثمار في حجم الودائع الاستثمارية "دراسة مقارنة في المصارف الاسلامية السورية". مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والسياسية، المجلد 38، العدد 4، 115-87.

4- ونوس، حيدرة؛ سليمان، عماد (2022). أثر العوامل الداخلية والخارجية في ربحية المصارف المدرجة في سوق دمشق للأوراق المالية، مجلة جامعة البعث، المجلد 44، العدد 21، 38-11.

5- يسري، عبد الرحمن (1995). دور المصارف الإسلامية في التنمية، مجلة الاقتصاد الإسلامي، دبي، العدد 167، 31-25.

1- Azad, A. S., Azmat, S., & Hayat, A. (2023). What determines the profitability of Islamic banks: lending or fee?. International Review of Economics & Finance. Volume 86, 882–896.

2- Alqsass, M., & Maali, H. (2022). The impact of credit risk on profitability of Islamic banks (case study: based on MENA region). The Seybold report journal, 18(2), 389–400.

3- Indriani, S. N., & Irawati, I. (2022). Analysis of Factors Affecting Bank Profitability with Total Assets Minimum 1 (One) Billion. Krisnadwipayana International Journal of Management Studies, 2(2), 65–74.

4- Ogutu, M., & Fatoki, O. (2019). Effect of e-banking on the financial performance of listed commercial banks In Kenya. Global Scientific Journal, 7(1), 722–738.

5- Ridwan, R., Sugianto, S., & Setyawati, E. (2021). The Effect of TPF, NPF and Fee Based Income on the Profitability of Islamic Banks with Financing as an Intervening Variable. Budapest International Research and Critics Institute (BIRCI–Journal): Humanities and Social Sciences, 4(2), 1758–1771.

6- Tho'in, M. (2022). Effect of Financing to Deposit Ratio and Operational Efficiency on Profitability (ROA) with NPF as Intervening in Islamic Banks. Jurnal Ilmiah Ekonomi Islam, 8(2), 2020–2026.

7- Laham, T., Sherbaji, F., & Mouselli, S. (2023). Pain or Gain? The Impact of Sanctions on the Sustainability of Banks' Services, 4(1), Journal of Service, Innovation and Sustainable Development 4 (1), 87–99.

8– Adnan Qubbaja, Faeyz Abuamria, & Mohammed Salahat. (2023). The Impact of the Corona Pandemic (COVID–19) on the Liquidity and Profitability on Listed Companies in the Palestine Stock Exchange. **Journal of Palestine Ahliya University for Research and Studies**, 2(1), 109–133.

9– Wahyudi, R., Nahar, F. H., Adha, M. A., & Rifan, A. A. (2021). Determinants of profitability in Indonesian Islamic banking: Case study in the COVID–19 period. **Integrated Journal of Business and Economics**, 5(1), 37–46

– الموقع الرسمي لسوق دمشق للأوراق المالية. (www.dse.gov.sy)

– الموقع الرسمي لهيئة الأوراق والأسواق المالية السورية. (www.scfms.sy)